مجلة "دراسات تاريخية" ملف (٢)

"المشرق العربي القديم وتشكّل العالم وهوية الأصول على ضوء المصادر والعلوم المعنية"

أ.د. نجاح محمد

"المشرق العربي القديم وتشكّل العالم
وهوية الأصول على ضوء المصادر والعلوم المعنية"

أ.د. نجاح محمد

المقدمة عن منطلقات البحث: الفكر "الصحيح":

كلمة البدء، والحديث عن تزوير التأريخ الإنساني والعربي منه على وجه الخصوص، نتركها لأحد أبرز الأصوات البحثية الموضوعية في الغرب، المتخصص بالحضارة اليونانية بيير روسي، إذ يقول: "إننا نلمس هنا سجلاً يحمل أفدح أنواع التزوير والتخريب. وليس هناك أصعب من تصحيح مسلمات مسيرتنا العقلية التي جمدت في حقائق منيعة حصينة"[١]. ولكن: "لا يكفي الإنسان أن يتكلم، بل عليه أن يتكلم ما هو صحيح"[٢]. الصحيح هو فكر التصحيح لهذا التزوير: نعدكم بأننا لن نتكلم سوى الفكر الصحيح ولن ننطلق إلاّ من هذا الفكر الصحيح.

من الفكر الصحيح ننطلق في حديثنا عن عراقة الإنسان وأصوله وعن العطاءات الحضارية في المشرق العربي القديم والعالم، لأنّه حديث يأتي من موقع تمثلنا العميق للانتماء الإنساني الحضاري الواحد الرافض لأية رؤية عرقية أو عنصرية، ويحترم بالتالي عطاءات الأمم كلها في العصور التاريخية المختلفة، صغيرة كانت أم كبيرة.

ومن الفكر الصحيح ينطلق التزامنا بـ"حضارة الموضوعية" بحيث تكون المصداقية هي المحرك لنظامنا المعرفي–القيمي، منهجاً وفكراً وقولاً وفعلاً. ومن جملة ما اعتمدناه

---

1)- Pierre ROSSI : La cité d'isis histoire vraie des Arabes, Paris, 1976, P. 62.
وهناك ترجمة عربية لفريد جحا لهذا الكتاب بتكليف من وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٠، ص٧٠.
وأبيّن أنّه في سياق التوثيق القادم سأضع رقم الصفحة المعنية في هذه النسخة المترجمة ضمن قوسين إلى جانب رقمها في النسخة الفرنسية حين استخدامها لاحقاً.

2)- Ibid, p. 14(20) .

في بحثنا هو مؤلفات قسم من المستشرقين الغربيين المتخصصين، ممن اطلعوا ولو على القليل ممّا اكتشف من ألواح ومخطوطات أثرية وتراثية قديمة، سواء في جزئها اليسير المعلن أو في معظمها المحجوب والمحفوظ في أرشيفات الغرب، ممن تميزوا بحضارة الموضوعية في عقلهم العلمي الحرّ، التي دفعتهم إلى بيان كثير من الحقائق الكاشفة مدى التزوير المتداول في التاريخ العربي على وجه الخصوص.

من هؤلاء، ممن نقدرهم جداً، الأساتذة المؤرخون الكبار: روسي(ROSSI)، وبيرار (BERARD)، وسيديّو (SEDILLOT)، ولوبون (LEBON) وغيرهم ممن أنصف الحضارة العربية وحرص على تبيان الحقيقة التاريخية إن كلياً أو جزئياً. وممن يمكن وصف موضوعيتهم بالجزئية في أحيان كثيرة نذكر ديورانت (DIORANT) وبراستد (BRASTED). ولا ننسى أندريه بارو (PARROT) المتخصص الفرنسي في آثار ماري ومدير متحف اللوفر سابقاً، وصاحب القول الشهير: "إن على كلّ إنسان متمدن أن يقول: إن لي وطنين، وطني الذي أعيش فيه وسوريا"[٣]. وحده من يعرف تاريخ سوريا يعرف دوافع بارو إلى قوله هذا: إنّه تقدير للعولمة السورية بمضمونها التمديني الإعماري بمعنى نشر رسالة التمدين ومعطياته على المستوى العالمي، وهذا تحديداً ما قامت به سوريا التي ربط هيرودوت دلالتها بآسيا عموماً[٤].

ومن الفكر الصحيح ننطلق في قناعتنا بأنّ إقرار المشروعية العلمية في استخدام المصطلحات الحديثة، للتعبير عن معطيات قديمة سابقة لظهورها، ومنها عولمة ونظام

---

[٣]- انظر سعد صائب: دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، دار طلاس، ١٩٩٤، ص١٨، وأحمد داوود: تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير، طبعة ٤، دار نينورتا، دمشق، ٢٠١٢، ص ٤، ويذكره فيليب حتي دون الإشارة إلى قائله بارو: انظر حتّي، تاريخ سورية، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢، ص٣.

[٤]- راجع تاريخ هيرودوت الشهير، ترجمة حبيب أفندي بسترس، مطبعة القديس جورجيوس، بيروت، ١٨٨٦– ١٨٨٧، المجلد الأول، الكتاب الثاني، ص ١١٥–١١٧.

عالمي مثلاً، هو مشروط باحتواء هذه المعطيات على مدلولات هذه المصطلحات في وجودها الملموس، ومنها مفاهيمها ومضامينها العامة نفسها التي يعبّر عنها المصطلح والتي قد تتمظهر بلبوسات مختلفة باختلاف مراحل تطورها في العصور التاريخية المختلفة.

ومن الأهم في الفكر الصحيح، والموضوع تاريخي، منطلق التزامنا بالتوثيق استناداً إلى المصادر والمراجع المعنية، أي الآثار والموجودات المتنوعة جميعها التي يخلفها البشر المعنيون بالبحث: المكتوبة وغير المكتوبة، الدينية والمدنية، الرسمية والأهلية إلخ...

وكذلك من الفكر الصحيح منطلق اعتمادنا في بحثنا هذا على الدراسة العلمية المقارنة، ويمكن القول: إنّه أكثر مما أسعدنا فيها هو توافق المعطيات المعرفية المعلوماتية الأساسية الكبير في المصادر الدينية، ومنها الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مع المصادر المدنية والعلوم المعنية ولاسيّما علوم الجغرافيا والمناخ والإنسان أو الأنسنة (Anthropology)، وعلوم التاريخ والتأريخ والآثار والأقوام واللغات وغيرها، ومنها توافقهما في كثير مما يخصّ موضوع خلق الإنسان العاقل، آدم المميز بعقله بلغة الدين، وهي التي عبّر عنها تراث المشرق العربي القديم، باعتباره النتاج الحضاري الأقدم لهذا الإنسان، تراث سوريا وبلاد الرافدين ووادي النيل والجزيرة العربية، ومنه تراث سوريا وفينيقيا وأكاد وسومر وبابل ومصر وإيبلا وماري وأوغاريت إلخ... فماذا تقول هذه المعطيات؟

ماسيأتي هو نتاج الاستنطاق العقلاني المقارن للمصادر والمراجع الجغرافية والأنتروبولوجية المعنية، أي المتعلقة بعلوم الإنسان أو الأنسنة ولاسيّما التاريخية والتأريخية والآثارية واللغوية وغيرها، وتتضمن المشرقية العربية القديمة، والكلاسيكية، والعربية–الإسلامية، والعربية والغربية الحديثة. المعطيات الآتية التي توصلنا إليها هي في معظمها حقائق تاريخية مجمع عليها من قبل الباحثين الموضوعيين المعنيين، وفي بعضها رؤى

جديدة جزئياً أو كلياً، ونكتفي بإيجاز أهمها بما يتعلق بالمشرق العربي القديم وأصوله ودوره في تشكّل العالم، لنصل إلى حقيقة كونه أصل الإنسان والحضارة، ونبدأ بالتسمية.

أولاً)– التسمية بين التزوير والحقيقة: "الشرق" أم "المشرق العربي القديم" و"بلاد العرب"؟

من المفيد التذكير بأنّ من معطيات التزوير من قبل الغرب الاستعماري اليوم هو قيامه بإلغاء كلّ مسمى تاريخي صحيح يدلّ على الهوية العربية لهذا المشرق أو للوطن العربي ككلّ، أو على الهوية الخاصة بكل دولة ولاسيّما الدولة السورية القديمة، لصالح مسميات من شأنها حجب هذه الهوية الموحدة تماماً، ومنها المسمى الواسع العام الأكثر شيوعاً وهو "الشرق".

وبينما نرى المصادر اليونانية والرومانية الكلاسيكية، في الماضي في العصور القديمة، تستخدم المسمّى الدلالي الصحيح، مسمى بلاد العرب، أو بلاد بابل أو إيجيبتو النيل أو سوريا أو فينيقيا[٥]، ونرى معظم المؤلفات في عصر النهضة في أوروبا تربط بين مصطلحي السريانية والسورية، لتدلّ على كلّ منهما بالآخر[٦]، فإننا نرى غالبية المؤلفات الغربية اليوم، وبخاصة ذات التوجّه البراغماتي الاستشراقي المغرض، تقوم باستبدالهما إما بمسميات مدن جزئية، كماري وإيبلا وأوغاريت وغيرها، أو بمصطلحات توراتية، كـ" الحثيين" و"الحوريين" و"العبريين" وغيرها مما زورت مضامينها لحقيقية لصالح تغييب الهوية العربية الفعلية لهؤلاء، بشراً وحضارةً واسماً[٧]، أو تندرج في إطار المراجع الاستعمارية الحديثة، الغربية

---

5)- CF. PLINY: Natural History, Bk. v, ch,. 21... and Bk. IV... 32., and the History of HERODOTUS, London, 1920, vol, 2, N. 15.

٦)- كتب المستشرق تريميليوس(TREMELLIUS) في ألمانيا كتابا" بعنوان: "قواعد اللغتين الكلدانية والسورية (السريانية)"، وكذلك كتب المستشرق بوستل(POSTEL) عن اللغة "السورية أو السريانية"، راجع توفيق سليمان، أسطورة النظرية السامية، دار دمشق، ١٩٨٢، ص٣٦.

٧)- راجع أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، طبعة ٦، دار نينورتا، ٢٠١١، وكتابه: تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير... وكذلك كتابه: تاريخ سوريا الحضاري القديم–١ "المركز"، طبعة رابعة، دار نينورتا، ٢٠١١، الحلقة الأولى.

والصهيونية المرتبطة بها، فتستخدم مصطلحاً واسعاً لا هوية له هو "الشرق" المذكور للدلالة على هذه البلاد، في الوقت الذي تحرص أن تسمي بقية بلدان هذا الشرق بمسمياتها القومية، كبلاد فارس والهند والصين واليابان وغيرها.

ولتوضيح ذلك أكثر نقف عند كتاب "العصور القديمة" لبراستد، أستاذ تاريخ الشرق ورئيس دائرة اللغات والعلوم الشرقية في جامعة شيكاغو، وعضو أكاديمية العلوم في برلين الذي يؤكّد قائلاً: "نعني بالشرق البلاد التي حول الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط"[٨]، بلدان مصر والعراق وسوريا بامتدادها القديم الشامل لمعظم آسيا الصغرى[٩]، بلدان المثلث الحضاري التي دعاها ديورانت بـ "الشرق الأدنى"، والتي جعل حضارتها أصلاً للحضارات الغربية كلها، الأوروبية والأمريكية[١٠].

ويقوم المستشرق بيير روسي، وهو المتخصص بالتاريخ اليوناني، والممثل بجدارة للاتجاه الأكاديمي الغربي الموضوعي، بتبيان صحة مصطلح "العرب" كتعبير عن هذا الشرق إذ يقول مخاطباً الغربيين "فإذا ما أبعدنا عنّا الهوى... وإذا ما أنعمنا الفكر من أجل أن نرى بوضوح، وليس من أجل أن نكتفي بالأفكار المتوارثة... وجب علينا عندئذٍ أن نُعرِّف العروبة كثقافة الشرق الوحيدة"[١١]. ويؤكّد بقوة أنّ "الثقافة كانت عربية منذ بداياتها الأصيلة"[١٢]. ولنتذكر أنّ ما يحدد عروبة هذه الثقافة هو لغتها التي كانت عربية بالتأكيد، وما سيأتي في بحثنا من معطيات الدراسة المقارنة على ضوء المصادر والعلوم المعنية سيؤكد هذه العروبة، وسيفسّر توصيف المشرق القديم بـ"العربي".

---

٨)- جايمس هنري براستد، "العصور القديمة"، ترجمة: داوود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٨.

٩)- مفيد رائف العابد، "سوريا في عصر السلوقيين"، دار شمأل، دمشق، ١٩٩٣، ص٤.

١٠)- ول. ديورانت، "قصة الحضارة"، الشرق الأدنى، الجزء الثاني من المجلد الأول، ترجمة: محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة، ولاسيّما ص٩-١٠.

11) - (ROSSI, La cité d'isis histoire vraie des Arabes..., p. 32(40).

12) -(Ibid, p. 130(142).

ثانياً)– المشرق العربي القديم والإنسان العاقل والأصول والهوية قبل تشكّل العالم:

مهمة إعمار إلهية، هكذا كانت البداية، والمكلف هو آدم، جيل الإنسان العاقل الأول الذي برمج عقلياً إلهياً لتحقيقها، من حيث هو خليفة الله على الأرض، ليرعاها ويديرها من خلال تشكيل المجتمع الإنساني الواحد، المتحرك، والحاكم والمحكوم، بقيم المحبة والحرية الخلقية والعدل والمساواة والسلام والبناء الإبداعي، مجتمع منطقة جميلة طبيعةً وسكاناً وحضارةً، إنّها منطقة المشرق العربي القديم، فلماذا وجد الإنسان العاقل في هذه المنطقة تحديداً؟ ولماذا منطلق أنّها كانت عربية؟

١– المشرق العربي القديم: لماذا كان الموطن الأول لوجود الإنسان العاقل؟ ولماذا هو عربيّ؟

أ– أثبتت علوم الجغرافيا والمناخ، ولاسيّما ما تعلّق منها بالعصور الجليدية وبداية العصر الدفيء فيما بين الألف الرابعة عشرة والألف العاشرة ق.م، ووفق حركة ذوبان الثلوج، أنّ المنطقة الوحيدة الصالحة لحياة الإنسان على الأرض هي منطقة المشرق العربي القديم المتضمنة لسوريا القديمة وبين النهرين ووادي النيل وشبه الجزيرة العربية، التي كانت أشبه بالحزام الحيّ "المتضمن لشروط الحياة البشرية، والمغطى بالأنهار والغابات والبحار وجنات عدن الجميلة، الذي أطلق عليه قدامى السوريين اسم "زنار عشتار" أي حزام الخصب"[١٣]، في حين أنّ بقية مناطق العالم كانت مغمورة بالجليد. يؤكّد هيرش أن "المنطقة الوحيدة في العالم التي توفر فيها ما يجعل مفهوم استعاضة الشكل القديم للنوع البشري بالشكل الحالي قابلاً للتطبيق هي شبه الجزيرة العربية في آسيا"[١٤]، في المشرق العربي القديم.

---

[١٣]– داوود: تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير...، ص ٥٧.

[14]- (P.F.HIRSH,"L'origine de L'homme Contemporain" (la Recherche, no.277,1995).

بحث برنار فندر هيرش ترجمه مدني قصري بعنوان: "اصل الإنسان المعاصر" (مجلة الثقافة العالمية، العدد ٧٨ ، أيلول ١٩٩٦ ، ص٥٠–٦٥).

ب- ارتبطت بداية التاريخ البشري، بالطبع، ببداية وجود الإنسان وتجمعاته البشرية الأولى في هذا المشرق، ويجب أن تنطلق، بالضرورة، من الكائن الذي اتفق الباحثون على أن يطلقوا عليه تسمية "الإنسان"، استناداً إلى المعايير الفيزيولوجية والاجتماعية والحضارية التي وضعوها[١٥]. إنّ علم الجينات(Genetics)، إذ أثبت أنّ لكلّ كائن جيناته المحددة الخاصة التي تتحكم بتطوره بحيث لا يمكن أن يتحوّل إلى كائن آخر دون تدخل خارجي، فإنّه قد أسقط تماماً فرضية داروينغ (Darwin) في تطور الإنسان من القرد، بمضامينها وتداعياتها كلّها في أصول وجوده في جنوبي أفريقيا منذ ستة ملايين سنة[١٦]، لصالح حقيقة وجود "الإنسان العاقل" الأول، والمتفرد المشرق العربي القديم باستمراره فيه دون انقطاع حتى اليوم.

هذا الإنسان المشرقي، وفق المتخصصين في علوم الإنسانية، كان متصفاً بالمعايير الفيزيولوجية والاجتماعية والحضارية المتفق عليها كلّها ولاسيّما العقل، وأكدوا أنّه هو "الجد المباشر للإنسان الحالي وصانع الحضارة بمعناها الشامل"[١٧]، وهو أصل الإنسان والحضارة. وهذه "الحقيقة التاريخية" لم يعد أحد ينكرها، كما يؤكد الباحث المتخصص محيسن، سوى من "لا يمت إلى جوهر البحث العلمي النزيه بصلة"[١٨].

ج- الرواية الدينية تؤكّد وجوب التمييز بين مرحلتين في تاريخ الإنسان العاقل، آدم، الأولى مرحلة حياة الفردوس والجنة قبل خطيئته، حيث كانت لغته هي العربية العرباء بمضمونها الرقمي والحرفي، وقد أكّد هذا حديثه (ص): "أحبوا العرب لثلاث:

---

[١٥]- راجع محيسن، عصور ما قبل التاريخ...، ص ٤٦-٤٧.

[١٦]- المرجع نفسه، ص ٥٠.

[١٧]- انظر على سبيل المثال محيسن، عصور ما قبل التاريخ...، ص٦١ وما يتبع.

[١٨]- المرجع نفسه، ص ٦١.

لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي"[١٩]. والثانية هي مرحلة الحياة الدنيا بعدها، حيث أهبط في المشرق العربي وحيث تتفق الروايتان المدنية والدينية على وجود مسيرته التاريخية فيه. وتجمع المصادر الدينية أنّ قبر آدم هو في "أبو قبيس" قرب مكة حيث الكعبة المشرفة في بلاد العرب، وأن هذه الكعبة قد حملتها الملائكة من السماء قبل ولادة آدم، وقد أعاد إبراهيم بناءها بعد الطوفان بمساعدة ابنه إسماعيل والملاك جبريل.

وتدلّ على ذلك معطيات طقوس الحج، مضموناً ومكاناً في بلاد العرب، إذ أدرجت، تقرباً إلى الله تعالى وحنيناً، زيارة "المزدلفة" حيث رأت حواء آدم بعد هبوطهما فازدلفت إليه، وزيارة "عرفات" حيث الجبل الذي شهد تعارفهما أو لقاءهما في هذه البلاد. ويجمع أبرز المؤرخين في روايتهم الإخبارية، ومنهم المسعودي، على أن الإنسان، بعد "تبلبل الألسنة"، أصبح يتكلم السريانية[٢٠]، التي اعتبرها العالم اللاهوتي بوستل أصلاً للغتين الإغريقية واللاتينية[٢١]، والتي برز فيها لهجتان شرقية وغربية. وهكذا تشكلت اللهجات العربية الرئيسية الثلاث، الفصحى والسريانية الشرقية الأكادية والغربية الآمورية.

د– إجماع المصادر والمراجع المعنية كلّها، سواء الغربية ممثلة باليونانية والرومانية وبتلك المنشورة في عصر النهضة في أوروبا، أو العربية ممثلة بالوثائق الآثارية والمصادر السريانية والمؤلفات العربية–الإسلامية مثل مؤلفات الطبري والمسعودي وابن خلدون، على الربط بين تسمية سوريا القديمة وبين تسمية سريان أو سوريان أو

---

[١٩]– رواه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عباس وتابعه محمد بن الفضل بن جريج.
انظر المفتي الحنفي عبد الغني النابلسي: هذا الكتاب القول السديد، مخطوط برلين، ورقة رقم ٣٥ ب.

[٢٠]– المسعودي: كتاب التنبيه والإشراف، ليدن، ١٨٩٣، ص٧٩.

[21]- (W. POSTEL: Les Origines des Langues, Paris, 1539.
وتوفيق سليمان: نقد النظرية السامية، الجزء الأول، ٩٨٢، ص٣٦.

سيريان أو سيريا أو سيري أو غيرها، وكلها تشير أيضاً إلى الناطقين باللغة السريانية[٢٢].

وأمر مؤكد وجود الربط في كثير من المصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية بين تسمية سوريا القديمة وبين بلاد العرب على أنها جزء منها[٢٣]. والربط نفسه هو في المؤلفات العربية– الإسلامية بالطبع، مثل مؤلف "التنبيه والإشراف" للمسعودي، الذي تارة يدعوها سوريا وتارة بلاد الشام، ويقول فيه: "إن هذا الشرق المؤلف من بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية، والذي كان يدعى كله بجزيرة العرب، كان مملكة واحدة يملكها ملك واحد، ولسانها واحد سرياني، وهو اللسان الأول، لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام، وغيرهم من الأنبياء، كما ذكر أهل الكتب"[٢٤].

هـ– أصحاب التراكمات الحضارية القديمة التي أدّت إلى التحول الحضاري لأكاد وسومر وغيرهما من الحاضرات العربية القديمة، الذين كانوا مخترعي التدجين والزراعة والتجارة والحرفة وكثير من الفنون وغيرها من المنجزات الحضارية ومنها الأهرامات والزقورات وغيرها، لم يصلنا أي دليل مكتوب عنهم، لعدم اكتشاف الكتابة بعد في مرحلة وجودهم. إلا أننا نستطيع معرفة هويتهم استناداً إلى الحقائق التاريخية الآتية:

---

[٢٢]- بالنسبة إلى المصادر الغربية راجع مؤلفات TREMELLIUS و POSTEL بهذا الشأن، ونينا بيغوليفسكايا: ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف جراد، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٠، ص١٦٩، وما جاء في فيليب حتّي: تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص٦٣ و٣٨٣. وبالنسبة إلى المصادر العربية راجع كتاب: تواريخ سريانية، نقل وتحقيق يوسف حبّي، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢، ص٣٠٩ و٣١٣، والقاموس الكلداني– العربي للمطران يعقوب أوجين منّا، مركز بابل، بيروت، ١٩٧٥، ص١٦–١٧، ويوسف الدبس: تاريخ سورية، المطبعة العمومية، بيروت، ١٩٠٣، الجزء الأول، ص٢–١٢، والمسعودي: التنبيه والإشراف...، ص٧٩ و١٧٦–١٧٧، وما جاء فيه هو نفسه في بقية المصادر العربية – الإسلامية.

[23]- (Cf. PLINY : Natural History, bk... V, ch. 21 and bk. V1, ch. 32.

[٢٤]- المسعودي، التنبيه والإشراف...، ص٧٩.

الحقيقة الأولى هي عدم وجود أية حضارة أخرى خارج الوطن العربي متواقتة مع حضاراته الأولى القديمة، مما يعني أن حضاراته جميعها هي داخلية المنشأ والتطور والتوحد والهوية. وقد أكّدت هويتها العربية المصادر المعنية كلّها كما سنرى.

الحقيقة الثانية تنطلق من قوانين حركة التاريخ التطورية التي تحتّم أن التحولات الكيفية في حضارة فريدة لقوم ما بحاجة إلى تراكمات حضارية عندهم، وأن هوية أصحاب التراكمات والتحولات لحضارة وحيدة، لا وجود لغيرها، هي واحدة بالضرورة، مما ينتج عنه أن هوية أصحاب التراكمات الحضارية التي أدت إلى التحول الحضاري عند أكاد وسومر هي واحدة، أي الهوية السريانية (السورية)– العربية.

والحقيقة الثالثة التي تؤكد سابقتيْها أيضاً هي وجود الوحدة الحضارية واللغوية التي جمعت بين قوم أكاد وسومر وبين سابقيهم ولاحقيهم في أنحاء الوطن العربي جميعها، والتي أكدتها مكتشفاته الآثارية كلّها، أي الوحدة الحضارية بين أصحاب التجمعات السكانية العاقلة الأولى وبين السومريين وكذلك المدعوين، زوراً، بـ"الساميين والحاميين واليافثيين"، والذين كانوا من السريان–السوريين–العرب أيضاً كما رأينا، وكما سنرى.

و– مع ظهور التجمعات البشرية الأولى للإنسان العاقل، في بلاد العرب في المشرق العربي القديم، ظهرت أولى الثقافات والحضارات البشرية، وبدأت مسيرة عطاءاتها وإنجازاتها، وفي أوساطها حدثت ثورة التدجين والزراعة التي كانت المنطلق للحضارة العربية السورية– الرافدية – المصرية–اليمنية والجزيرية عموماً، الشاملة للميادين كلّها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، ديناً وفكراً وعلماً وفناً وأدباً، والتي إليها يعود الفضل في اختراع العلوم والفنون والآداب والمؤسسات الحكومية والأهلية جميعها، ومنها السلطوية والديمقراطية والاقتصادية والنقابية والثقافية وغيرها، بما فيها الدولة والقوانين

والمكتبة والأرشيف ومجلس الشيوخ ومجالس الشعب الخ... فكانت حضارة أكاد وسومر وبابل وأشور وإيبلا وماري واوغاريت وفينيقيا ومصر واليمن وعمان وغيرها.

وحدة العرب فيها بدأت بوحدة أثنوغرافية وأثنولوجية[٢٥]، أي وحدة العرق الوصفي ووحدة العرق الطبائعي، وكانت نتيجة طبيعية لرجوعهم إلى أصل جغرافي بيئي بشري عاقل واحد، ولا وجود لغيره، هو التجمع البشري العربي الأول في "بلاد العرب"، الذي جمعته بداية وحدة الجنس التي هي بداية عامة تخص الأمم جميعها وليس الأمة العربية فقط. وهذا ما يشير إليه اصطلاح "Nation" الذي يتضمن في أصله اللاتيني معنى وحدة السلالة والجنس[٢٦].

لا شك أن كثيراً من أوجه الالتقاء والتطابق قد نشأت بين أفراد التجمع العربي نتيجة للغتهم الواحدة، كما سنرى، ولردود فعلهم المتماثلة تجاه بيئة جغرافية مادية واحدة. ولا شك أيضاً أن طبيعة حياتهم المشتركة قد أدت، بالضرورة، إلى توحد عاداتهم وتقاليدهم، ثم وبعد مرحلة من التطور العددي والكمي التراكمي والنوعي تغير شكل التجمع البشري العربي البدائي الأول، ليأخذ شكل العشيرة، التي جمعتها وحدة الأرض والدم والملكية المشاعية والعمل الجماعي، ووحدة اللغة والأعراف والتقاليد. وبعد مرحلة أخرى تحول هذا التجمع إلى شكل أكثر تطوراً هو القبيلة المؤلفة من وحدة عشيرتين أو أكثر[٢٧] والتي جمع بين أفرادها ما جمع بين أفراد العشيرة مما ذكرناه. بعد ذلك، وبمرور مرحلة طويلة من التطور كماً ونوعاً ومن الانتشار والاستقرار، تغير شكل التجمع العربي البشري القبلي متحولاً إلى شكل الشعب، أي إلى "اجتماعية اتحدت بواسطة الأرض واللغة والتكوين

---

[٢٥]- راجع طيب التيزيني، الفكر العربي في بواكيره وآفاقه الأولى، دار دمشق، ١٩٨٢، ص ٢١٨.

[٢٦]- لويس عوض، "معنى القومية" (الأهرام، القاهرة، ١١ أيار ١٩٧٨، ص٢) منشورة في (مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد ٤-٥، ١٩٧٨، ص٢٦٣-٢٦٨) ص٢٦٤.

[٢٧]- ف. كيللي وم. كوفالزون، المادية التاريخية، ترجمة أحمد داوود، الطبعة الأولى، دار الجماهير، دمشق، ١٩٦٧، ص٢٢٩.

النفسي"[٢٨]، ثمّ ومع المصالح الاقتصادية المشتركة كانت الأمة العربية أماً لكل الأمم كما سنرى. والآن ماذا عن اللغة التي أعطت هذه التجمعات هويتها العربية؟

٢- المشرق العربي القديم عروبة اللغة والأصول:

اللغة هي بنية، وهي منظومة العلامات التي تعبّر عن فكر ما، باعتبار أن هذا الفكر هو انعكاس للواقع الحياتي بشتى ميادينه المادية والروحية، السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. أي أن اللغة بالنتيجة هي تعبير عن هذا الواقع بمحتوياته كلّها التي عرفها المجتمع. وقد عرف علمها، أي علم الألسنية، خلال القرن الحالي تطورات مهمة جعلت منه الأساس المشترك لمختلف العلوم الإنسانية الأخرى، ولاسيّما علم الإنسان أو الأنسنة، والأساس الأول لهوية الأقوام والشعوب والأمم.

يقوم علم الألسنية على دراسة بنية اللغة ومفرداتها في تطورها ومتغيراتها التاريخية المتعلقة بتبدلات التصويت والأحرف والقواعد والدلالة[٢٩]. وأية دراسة مقارنة بين اللغات استناداً إلى علم الألسنية هذا توصلنا إلى معطيات متغيراتها من جهة، وإلى معرفة درجة القرابة أو البعد فيما بينها، من جهة أخرى، فما الحقائق التي تقدمها هذه الدراسة بالنسبة إلى ما دعي بـ"اللغات" الشرقية القديمة"، أولى لغات العالم؟ وهل هي لغات أم لهجات؟

أ- دراسة لغوية علمية مقارنة بين "اللغات أو اللهجات الشرقية القديمة":

أُجْرِيَتْ هذه الدراسة، على ضوء علم اللغات وعلم المنطق، بين ما دعي بـ"اللغات الشرقية القديمة" وسمّيت خطأً، بـ"اللغات السامية"، بين اللغة العربية العرباء أو الفصحى وبقية هذه اللغات أو اللهجات كما سنرى. ونظراً إلى أن ظاهرة الأسرة وعلاقاتها هي من

---

[٢٨]- المرجع نفسه، ص ٢٣٢-٢٣٤.

[٢٩]- راجع فردينان ده سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، لبنان، ١٩٨٤.

أهم الظاهرات الاجتماعية التاريخية وأقدمها، وأكثرها دلالة بهذا الشأن، فإننا نورد جدول المقارنة الآتية الموجزة بين المفردات المتعلقة بها، فضلاً عن بعض المفردات الأخرى المهمة. ولكن قبل المباشرة بذلك لا بدّ من التذكير بأمريْن مهميْن:

الأول هو وجوب التمييز بين اللغة والكتابة، فهما مختلفان كلياً، فاللغة الواحدة قد تكتب بكتابات أو بخطوط مختلفة. هذا ما دل عليه علم الخطوط الذي، إذ أكد وحدة الكتابة عند العرب القدماء، التي تجسدت بوجود كتابة واحدة تطورت من التصويرية إلى المسمارية المقطعية، ثم الأبجدية الحرفية التي عمت العالم كله، وهي أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت، والتي أضيف إليها ثخذ وضظغ في الأبجدية العرباء، فقد أكد وجود الاختلاف بين الخطوط التي كتبت بها هاتان الأبجديتان، وبين الخطوط التي تطورت إليها إن شرقاً أو غرباً، ليكون، على سبيل المثال، الخط الفينيقي ومنه اليوناني، والخط الآرامي المربع، والكوفي، والديواني إلخ... واليوم، كمثال، تكتب كلّ من اللغتين الفارسية والباكستانية وغيرهما في كثير من البلدان الإسلامية، بخط عربي، وتكتب اللغة العربية بخط لاتيني في مالطا.

الأمر الثاني هو أن اللهجات العربية الرئيسية التي توزعت فروعها المتعددة أنحاء الوطن العربي القديم كانت ثلاثاً: اللهجة العربية السريانية الشرقية كالأكادية أو البابلية والآشورية، واللهجة العربية السريانية الغربية أو الآمورية، كلهجة ماري وفينيقيا ومصر والأنباط، وأخيراً اللهجة العربية العرباء في شبه الجزيرة العربية وخارجها. وكثيراً ما اختلطت هذه اللهجات في معظم مناطق المشرق العربي من خلال وجود الناطقين بها فيها. وكثيراً أيضاً ما توزع أفراد فرع سكاني واحد عدة لهجات حسب تموضع كل منهم السكني، كالآراميين مثلاً الذين كانوا يتكلمون في الأصل العربية الشرقية السريانية، ثم تكلم بعضهم اللهجة العربية العرباء، وتكلم بعضهم الآخر اللهجة الآمورية. ونعود إلى المقارنة على أساس اللفظ دون تنوين أو تمويم بالطبع:

اللهجة العربية العرباء	اللهجة العربية السريانية الشرقية (لهجة أكاد أو بابل وآشور)	اللهجة العربية السريانية الغربية الآمورية (مثل لهجة فينيقيا وماري)
أب	أبو	أبا
جبر (رجل)	جبرو	جبرا
أم	أمو	أما
ابن	بنو	برا
بنت	بنتو	بت–برتا
أخ	أخو	أخا
دم	دمو	دما
إنسان	نشو	ناشا
ولد	ولدو	إيلدا أو يلدا
لب (قلب)	ليبو	ليبا
أمة	أمتو	أمتا
نفس	نبشتو	نفشا
ملك	ملكو	ملكا
سلام	شلامو	شلاما

وإذا ما قارنا بين بعض المفردات الدالة على أقدم مواد الطبيعة والزراعة في اللهجات الثلاث، أي بعض أقدم المفردات التي عرفها إنسان مشرقنا العربي القديم قبل بدايات اكتشافه للزراعة أو معها، نجد:

العرباء	اللهجة العربية السريانية الشرقية (لهجة أكاد ومنها بابل وآشور)	اللهجة العربية السريانية الغربية أو الآمورية (لهجة فينيقيا وماري)
أرض	أرعو	أرعا، أرقا
قمح	قمحو	قمحا
ليل	ليلتو	اليا
ماء	مي، مو	مايا
سنبلة	شوبلتو	شبلتا
عنب	أنبو	عنبتا

سماء	شمو	شما
شمس	شمش	شمشا
دبس	دبشو	دبشا
ورق	ورقو	ورقا
كرم	كرمو	كرما

إنّ هذه المقارنة بين أقدم التعابير التي عرفتها التجمعات البشرية في مشرقنا العربي القديم، والتي تناقلتها منذ ذلك الحين الأجيال بعضها عن بعض، تحمل الدليل ليس على عروبة اللهجات المشرقية المذكورة كلّها فقط، وإنما على عروبة لغة جميع التجمعات العاقلة السابقة لأصحابها في الوطن العربي القديم، الذين شكلوا الامتداد البشري والحضاري واللغوي لها، فإليها يعود، على سبيل المثال، فضل معرفة العلاقات الأسرية والتدجين والزراعة وبالتالي فضل معرفة المفردات اللغوية الدالة عليها حتى اليوم، ولنا عودة إلى هوية هذه التجمعات لاحقاً، أمّا الآن فنتابع بقية الحقائق التي برهنت عليها هذه الدراسة عموماً؟

ب- الحقائق الأخرى في عروبة "اللغات أو اللهجات الشرقية القديمة":

١- يؤكّد المتخصص المعروف عفيف بهنسي أنّ اللغة العربية قد "ابتدأت مع بداية التاريخ"[٣٠]، وهذا ممّا يفسر أنّ دائرتها هي الأقدم والأوسع، وتتضمن مفرداتها الغالبية العظمى من مفردات "اللغات الشرقية القديمة" المدعوة خطأً بالسامية والحامية واليافثية، والتي هي السريانية بلهجتيْها الرئيسيتيْن، الشرقية الأكادية والغربية الآمورية، والدالة على مفردات المضامين المعرفية الحياتية جميعها على كلّ صعيد مادي وروحي، ممّا يعني أنّها أقدمها، وأنّها الأم الأصل لها جميعاً. من هنا جاء اعتبار العربية، عند الباحث اللغوي المعروف صبحي الصالح، فوق اللغات الإنسانية قاطبةً،

[٣٠]- عفيف بهنسي، حكمة العروبة، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٢، ص ٢٦٩.

فهي أم اللغات الآريات، لا الساميات والحاميات فحسب"[٣١]. ومن هنا جاءت كثرة الدراسات اللغوية الراهنة التي برهنت على أنّها اللغة الأم للغات العالم جميعها[٣٢].

وقدم اللغة العربية هذا وحده هو الذي يفسر الاستعانة بها في فك رموز الألواح المسمارية للكتابات القديمة المختلفة[٣٣]، كما يفسر غناها الفريد في مفرداتها بالنسبة إلى كلّ لغات العالم، وبفروق هائلة. يدل على ذلك عدد جذورها، أي أفعالها الثلاثية، البالغ (١٦٠٠٠) جذر مقابل (٧٠٠) جذر فقط للغة اللاتينية، و(٢٠٠٠) جذر للغات الانكلو–سكسونية. وهي متفردة أيضاً بدقتها واتساع قواعدها واشتقاقاتها.

٢- جرى التأكيد أنّ ما دعي بـ"اللغة الأكادية"، التي هي أقدم لغة مكتشفة في العالم كلّه، كانت اللغة العربية الأم في لهجتها السريانية[٣٤]. وبناءً على دراسة الدلائل السابقة والمتزامنة واللاحقة لأولى المدونات الأكادية المكتشفة، ولأقرب أبنائها الورثة لها، الأبناء الأكاديين والآموريين وأبناء الجزيرة العربية والنيل وغيرهم في مشرق

---

[٣١]- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، طبعة ١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٤٧.

[٣٢]- انظر، على سبيل المثال، مؤلفات الباحث الليبي المعروف علي فهمي خشيم عن "القبطية العربية، و"الأكادية العربية"، و"اللاتينية العربية"، و"سفر العرب الأمازيغ" و"لسان العرب الأمازيغ"، وكذلك مؤلفات د. داوود المعنية ومؤلفات الباحثيْن المعروفيْن عفيف بهنسي ومحمد بهجت قبيسي، ودراسات محمود عبد الحميد المعنية ومنها كتابه "الهجرات العربية القديمة". وانظر عبد الرحمن أحمد البوريني: اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٨، وأحاديث البطريرك زكا عيواص عن عروبة السريان ومنها (جريدة النهار، بيروت، تاريخ ٢٠٠٥/٦/١٢). كذلك كتاب فتحية إسماعيل المتخصصة في علم اللغات، بعنوان: اللغة العربية أصل اللغات، القاهرة، و:
Albert C. BAUGH and :و ROSSI, La cité d'isis histoire vraie des Arabes…
Thomas CABLE: History of the English Language, London, 1980.

[٣٣]- فيصل عبد الله، مقدمة في علم الأكاديات ودور العرب فيه، دار الأبجدية، دمشق ،١٩٩٠، ص ٧ و٥٦.

[٣٤]- هناك إجماع على أن الأكادية هي اللهجة الأقدم للعربية الأم. انظر على سبيل المثال بحوث الندوة العالميةعن تاريخ سوريا والشرق الأدنى القديم، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٩٩٦، ص٩٠، وانظر عبد الله، مقدمة في علم الأكاديات ودور العرب فيه...، ص٧٦، ومؤلفات داوود المذكورة، ومحمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٠، ص٦٠.

الوطن العربي ومغربه، من الذين برهنت بحوث علم الأنسنة، التاريخية والآثارية واللغوية، على أن تواصلهم هو التواصل الوحيد مع معطياتها، وجوداً وحضارة ولغة، كما رأينا وكما سنرى، واستناداً أيضاً إلى مبدأ ابن خلدون: "قياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب"[٣٥]، أي بالماضي، من حيث هو استمرار متفرد له، ووفق قوانين حركة التطور الجدلية، وكذلك الروايات الإخبارية التاريخية المتناقلة، التي دونها المؤرخون القدامى ومنهم العرب–المسلمون، فإنّ هذه اللغة العربية الأكادية السريانية، الوحيدة الأقدم والمستمرة، كانت لغة الإنسان العاقل وتجمعاته، أو لغة "اللسان الأول، لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام، وغيره من الأنبياء، كما ذكر أهل الكتب" كما رأينا، وكانت اللغة العالمية في العصور القديمة كما سنرى.

٣- تفرد العرب بوجودهم المستمر منذ الإنسان العاقل الأول حتى اليوم. من هنا جاء قول لوبون، المذكور سابقاً، عن أنّ الشرق العربي، "يقترب حاضره من ماضيه، ويستطيع من يبحث في الحاضر أن يصل إلى صميم الأجيال الغابرة"[٣٦]. إنّ أجيال اليوم هي أحفاد هذه "الأجيال الغابرة"، يجمعها "التواصل اللغوي والحضاري" "المستمر حتى وقتنا الحاضر دون انقطاع على الإطلاق"[٣٧]. وممّا تقدم نستطيع أن نفهم تأكيد نلسن(NIELSEN) أيضاً بأن دماء سكان "الشرق الأدنى" القديم "ما زالت جارية في عروق شعوبه اليوم"، "وأنه لو أقام سكان بلاد الشرق الأدنى الآن في مدن آشور أو فينيقيا أو مصر التي قد مرّ على كيانها أربعة آلاف سنة لشعروا بأنها وطنهم أكثر

---

[٣٥]- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص٩.

[٣٦]- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة خالد زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٩، ص ٢٨.

[٣٧]- عبد الله، مقدمة في علم الاكاديات ودور العرب فيه...، ص٥٥ .

مما يشعر الجرماني أو الفرنساوي أو الإنكليزي بأن المدينة التي يقيم فيها، ولم يمر على وجودها أكثر من ألف سنة، هي وطنه"[٣٨].

ولم يعد ينكر هذه الصلة الاستمرارية والإرثية بين العرب أصحاب الحضارات القديمة كلها والعرب الإسلام، وبين العرب اليوم، حسب تأكيد أحد المتخصصين، "إلا الجهلة أو الشعوبيون أو الصهاينة أو بقية العملاء الاستعماريين ممن يزورون التاريخ ويوظفونه بعيداً عن حقائقه في خدمة أغراضهم الخاصة"٣٩. والحال نفسها مع نكران سقوط النظرية السامية –الحامية– اليافثية (الآرية الهندو–أوربية) التي عدّها المتخصص نعيم فرح "نظرية صهيونية"٤٠، لصالح تأكيد كون اللغة العربية هي اللغة الأم للغات الحضارات القديمة كلها التي دعاها بعض المتخصصين بـ"اللغة العربية القديمة"٤١، ودعاها بعضهم الآخر بـ"اللغة العروبية الأولى"٤٢.

٤– المصادر المعنية تؤكّد أنّ تسمية العرب هي لغوية: لا أحد يجهل حقيقة عروبة الحضر والبدو في المشرق العربي القديم، إذ إن العرب القدماء مذ عرفوا حياة الاستقرار والزراعة والحضر كانوا يتكلمون باللهجة العربية المهيمنة المنتشرة في مدن حواضرهم، على نقيض من بقي منهم على حياة الترحل والصيد وعدم الاستقرار، الذين كانوا يحتفظون بلهجتهم العربية العرباء فيها. هذا هو بالتحديد ما يفسر سبب

---

[٣٨]- براستد، العصور القديمة...، ص٦.

[٣٩]- يؤكد هذه الصلة الاستمرارية الباحثون الموضوعيون المعنيون كلّهم، انظر على سبيل المثال لا الحصر: عبد الله، مقدمة في علم الاكاديات ودور العرب فيه...، ص٨ و٥٥ –٥٦، وبراستد، العصور القديمة...، المقدمة، و...ROSSI, La cité d'isis histoire vraie des Arabes

[٤٠]- نعيم فرح: النظرية السامية مؤامرة استعمارية وصهيونية على العرب، دار حسان، ١٩٩٣.

[٤١]- انظر كمثال فرزات ومرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم...، ص ٦٠.

[٤٢]- انظر كمثال علي فهمي خشيم، "نحو دراسة علمية للتاريخ العربي القديم"(مجلة الوحدة، الرباط، العدد ٤٢، آذار ١٩٨٨، ص٧٤ –٨٦).

دعوة الحضر لهم بـ "العرب" في العصور القديمة المتقدمة. ولكن هذه التسمية التي التصقت بهم سرعان ما اختزل مضمونها اللغوي هذا في مضمونها الدلالي على حياتهم البدوية، فكان أن ارتبطت تسمية "العرب" جزئياً بالبدو.

والحال هذه هي نفسها مستمرة حتى يومنا هذا، إذ نرى في البلدان العربية جميعها أن سكان الحضر، وخاصة في المناطق التي يوجد فيها البدو، كحمص والرقة وغيرها في سوريا مثلاً، يستخدمون في حديثهم العادي تسمية "العرب" للدلالة على هؤلاء البدو، فهل هذا يعني نفي العروبة عن أنفسهم وإلصاقها بهؤلاء فقط؟ بالطبع لا. هو يعني تناقلهم الآلي التأريخي المستمر، بحكم العادة، لتعبير متداول منذ زمن قديم ليس إلاّ.

وهذا ما نقله حتى بعض مؤرخينا القدامى بشكل آلي أيضاً، مع الأسف، كابن خلدون مثلاً الذي يستخدم تعبير "العرب" في كثير من الأحيان للدلالة على بدو الجزيرة العربية، ولكن استخدامه هذا لا يعني أبداً نفي عروبة سكان الحضر الذين يتحدث عنهم سواء في الجزيرة العربية أم في خارجها ومنهم أهل الشام والعراق ومصر الذين يؤكد أنه "لم يكن على وجه الأرض أحضر منهم[٤٣]، أي أكثر حضارة. نبّه بشأن هذا الخلط، الذي هو عن قصد أو عن غير قصد، كثير من الباحثين الأجانب والعرب، ومنهم لوبون وجواد علي[٤٤]. والأمر نفسه بالنسبة إلى ذكر العرب في التوراة الذي لا ينفي، ولا بحال من الأحوال، عروبة جميع الأقوام الأخرى المذكورة فيها أيضاً، كالبابليين والآشوريين والمصريين والآراميين والحثيين والحوريين والفلسطينيين والكنعانيين، ومنهم الفينيقيون، وغيرهم كثير.

---

[٤٣]- انظر تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٣، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص٦٥٨.

[٤٤]- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٩، ص٧١-٧٣، وجواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦، الجزء الأول، ص١٣-٣٣.

ونورد على سبيل المثال أحد المعطيات التاريخية التي تؤكد عروبة هؤلاء الآخرين، أي الفينيقيين، على لسان أحد أباطرتهم الذين حكموا روما في القرن الثاني الميلادي، واسمه سبتيموس سيفيروس، فقد أكد المؤرخ الفرنسي جان بابليون أن هذا الإمبراطور الفينيقي كان يصرّ في أثناء حكمه لروما على أن يكون أحد ألقابه التي يعتز بها لقب "العربي"[٤٥]. وعلم المنطق يقول: إنّه عندما يصر على لقب "العربي" وهو من أم وأب فينيقيين، وفي مثل ظروف المجد والسؤدد التي كان فيها، فلا معنى لإصراره هذا سوى شعوره بانتمائه العروبي.

ومنهجياً يعتبر إصراره هذا، إذا ما أخذ ضمن سياق بقية الحقائق التي تقدمها بقية العلوم بهذا الشأن، هو القول الفصل في عروبة الفينيقيين الذين انطلقوا إلى الساحل اللبناني من منطقة صور في عمان في الخليج العربي وقبلها كانوا في اليمن[٤٦]. والآن ماذا عن المعطيات الأخرى للدراسة المقارنة لعلوم الأنساب والتوقيت والآثار والتأريخ والجغرافيا وغيرها.

٣- عروبة الأصول على ضوء علوم بقية العلوم المعنية خاصة علوم الأنساب والتوقيت والآثار والتأريخ والجغرافيا:

علم الأنساب لا يترك أي مجال للشك في عروبة ما دعي بالساميين والحاميين واليافثيين، إذ يؤكدها النسابون العرب جميعهم، كالبغدادي[٤٧] وغيره، انطلاقاً بالطبع من عروبة أجدادهم، من حيث أنّ انتماء الولد لا يمكن إلا أن يكون هو نفسه انتماء أبيه وأخيه وجده وصولاً حتى الإنسان العاقل، آدم. وكما يدل الأب أو الجدّ على نسب الابن

---

[٤٥]- جان بابليون، إمبراطوريات سوريات، ترجمة يوسف شلب الشامي، دمشق، ١٩٨٧، ص٨٠-٨١.

[٤٦]- داوود: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ١ المركز...، ص ٤٥٣-٤٥٥.

[٤٧]- محمد أمين البغدادي السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، دون تاريخ.

والحفيد، فالعكس صحيح أيضاً، وعلى مبدأ ابن خلدون "دلالة الشاهد على الغائب"، عرب اليوم يدلون على أجدادهم.

وعليه، وعلى سبيل المثال، لا يمكن لأبناء نوح أو لأبناء حفيده إبراهيم، أحد أجداد العرب كما هو معروف، إلا أن يكونوا عرباً في انتمائهم، كجديهما هذين. ولا يمكن أن يختلف النسب بين الأخ وأخيه. وبناء عليه لم يكتفِ الباحث المعروف محمد عزة دروزة بتأكيد عروبة أقوام الوطن العربي القديم جميعهم، وإنما ألحقهم بما سماه تحديداً وبالحرف الواحد بـ "الجنس العربي"[٤٨]، تعبيراً عن وحدة الجنس والنسب والمنشأ التي جمعت بينهم في الأصول، والتي تفسر وحدة لغتهم وحضارتهم.

وهذا ما ينسجم مع ما تبينه الدراسة المقارنة العلمية للغاتها كما رأينا، وما تبينه أية دراسة تأريخية–آثارية مقارنة بين البدايات الزمنية لتجمعات الإنسان العاقل وثقافاته القديمة كلّها، في مناطق العالم كلّه، على ضوء علم التوقيت الذي من شأنه تحديد أسبقية وجود كلّ من معطياتها، وعلى ضوء جميع العلوم المساعدة الأخرى، أي علم قراءة الخطوط القديمة، وعلم الشفرة، وعلم الوثائق، وعلم النقود أو النميّات، وعلم الأختام، وعلم النقوش الكتابية، وعلم الأسماء، وعلم الأقوام والعروق وغيرها.

وعلى أيدي المتخصصين بها، ومن خلالها، قُرِئَتْ آثارنا العظيمة التي توزعتها متاحف الدول الغربية، فشكلت تسعين بالمائة من محتوياتها المتعلقة بالعصور القديمة. وهذا طبيعي لأن تاريخ حضارات العصور القديمة، مثله مثل تاريخ حضارات العصور الوسطى، هو في غالبيته العظمى لا يخرج عن إطار الحضارة العربية، حضارة جزيرة العرب والحضارة الرافدية–السورية–المصرية قديماً، والحضارة العربية–الإسلامية وسيطاً.

---

[٤٨]- محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٥٩.

إنّ معطيات القراءة الآثارية لهؤلاء المتخصصين، التي يستند إليها الباحثون في علم التاريخ والدراسات العلمية المقارنة، قد قلبت وصححت كثيراً من الفرضيات والأفكار الخاطئة المتداولة قبل الاكتشافات المقروءة. قسم من الباحثين المعنيين أفاد منها، وبعضهم رفض أن يستفيد، وبعضهم الآخر تأطر في منظومته المعرفية الخاطئة وتحجر فيها بحيث لا يصدق إلا ما جاء منسجماً معها. ومن أهم ما بينته وأكدته هذه المعطيات فيما يخص موضوعنا كان الآتي:

– لا وجود لأي تجمع عاقل مستمر دون انقطاع خارج بلاد العرب.

– الثورة الزراعية كانت في المشرق العربي القديم منذ الألف العاشر ق.م، وحتى زهاء ٢٢٠٠ ق.م، أي خلال ٨٠٠٠ سنة ق.م قامت فيها معظم الإنجازات الحضارية المهمة، لم يكن هناك في العالم حضارة أخرى خارج هذا المشرق العربي، لا صينية ولا هندية[٤٩].

– ما تقدم يعني أنّه قبل حضارة أكاد وسومر في الألف الرابع ق.م لم يعرف العالم كله حضارة أخرى خارج المشرق العربي، ممّا يعني بالضرورة أن التراكمات الحضارية المؤدية إلى هاتين الحضارتين لا يمكن أن توجد إلا فيه، ومن ثمّ فإن السومريين لا يمكن أن يكونوا إلا من داخل هذا المشرق، وليس من خارجه المجهول كما تدعي الدراسات الاستشراقية المغرضة والناقلة عنها. هذا وقد قامت إحدى الدراسات العلمية

[٤٩]- راجع أندريه إيمار وجانين أوبواية: الشرق واليونان القديمة، موسوعة تاريخ الحضارات العالم، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت– باريس، ١٩٨٦، ومنه الجداول الأخيرة المعنية.

بتأكيد أصلهم من الخليج العربي[٥٠]، وأكدت أخرى موثقة عروبة لهجتهم وعروبة هويتهم الحضارية التي لم تكن لتنفصل عن وحدة حضارات الوطن العربي القديم وعروبتها[٥١].

ويؤكد كريمر، وهو أبرز الباحثين والمتخصصين بالسومريات، أنّ حضارة الوجود السامي[٥٢]، أي العربي، كان سابقاً لوجود السومريين، وأنّ حضارته "السامية" كانت وراء معطياتهم الحضارية جميعها حتى في "عصرهم البطولي" وفق تعبيره[٥٣]. ولا يهم أي من الطرفين السابق للآخر، فكلاهما من أصول بشرية وحضارية واحدة، وكذلك لغتهما التي أخطأ من تحدث عن اختلافها، من حيث إنّه أساء فهمها وخلط بينها وبين كتابتها.

ومعطيات التأريخ بدورها وضحت عروبة الأكاديين، البابليين والآشوريين، والآراميين والمصريين والبربر والكنعانيين والفراعنة وغيرهم من العماليق، والتي أكدها معظم المؤرخين العرب المسلمين، ومنهم مؤرخنا الكبير الطبري في مؤلفه المعروف "تاريخ الأمم والملوك"، إذ بيّن أنّ جميعهم من العرب العماليق و"لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي"[٥٤].

وأكدها القرآن الكريم، وقيمته التأريخية لا تقل أبداً عن قيمته الدينية، وذلك من خلال حديثه عن قصص الأنبياء المرسلين التي أبرز فيها وجود التاريخ العربي واستمراريته منذ آلاف السنين قبل ظهور الإسلام، أولاً: وأكد أن ما جاء به النبي محمد (ص) هو

---

(٥٠)- راجع بحث عالم الآثار الأمريكي جوريس زاريتنس: "هل تحدد أخيراً موقع جنة عدن" (مجلة Smithsonian الأمريكية، عدد أيار ١٩٨٧، ص١٢٧-١٣٤).

(٥١)- انظر داوود: تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير ...، ص ١٢٧-١٤٠.

(٥٢)- صمويل كريمر، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، دون تاريخ، ص ٣٥٥-٣٥٩. من المفيد البيان بأن كريمر دعا الوجود السابق للسومريين بـ"العربي" لكن المترجم بدّل توصيفه داعياً إيّاه بـ"السامي"، على كلّ مضمونهما العربي واحد.

(٥٣)- المرجع نفسه، ص٣٥١-٣٥٩.

(٥٤)- أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، الطبعة الرابعة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، الجزء الأول، ص١٤٠-١٤٣.

استمرار وتكملة لما جاءه الأنبياء من قبله، ثانياً: وأن أقوام هؤلاء الأنبياء، ومنهم أقوام نوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام وانتهاءً بالنبي محمد (ص)، هم عرب ويشكلون أمة واحدة، ثالثاً: ولنسمع، مثالاً على ذلك، قوله تعالى في سورة الأنبياء مخاطباً العرب بعد أن يتحدث عن الأنبياء وأقوامهم: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"[٥٥].

وعليه، ولما سبق كلّه، لا غرابة بأنّ العرب هم الوحيدون الذين كانوا يفتخرون بأصالة نسبهم العربي، تماماً كأصالة حصانهم العربي المعروفة، والقائمة بالدرجة الأولى لا على الأصل العرقي المتسلسل، وإنما على الأصل القيمي المناقبي للمتميزين من الأجداد فقط. من هنا جاء، على سبيل المثال، ما ذكرناه عن إصرار إمبراطور روما سيبتيموس سيفيروس في القرن الثاني الميلادي، على أن يكون أحد ألقابه التي يعتز بها لقب "العربي".

وإنّ ما يقوله علم الجغرافيا–التاريخية، الذي يستخدمه الباحث في التاريخ لبيان ودراسة الحامل المكاني للقوم، أي اسم بلادهم، يأتي في إطار تأكيد هذه الحقيقة. يأخذ هذا الاسم بالنسبة لأي بلد من البلدان، دائماً وأبداً في الظروف العادية، اسم القوم أو الشعب صاحب أرض هذا البلد تاريخياً، ويجب التمييز هنا بين مرحلتين تمر بهما تسمية هذا البلد أو ذاك:

مرحلة ما قبل الوعي للرابطة القومية التي تجمع بين سكانه الموزعين فيها على شكل تجمعات بدئية أو عشائر أو قبائل أو حاضرات أو دول، والمرحلة الثانية هي مرحلة ما بعد الوعي للرابطة القومية، فعندها، وخاصة في حال وجود الوحدة السياسية، تأخذ تسمية البلاد صراحة اسم الأمة التي تضم الأقوام المنتمية لها كلهم، والموجودة فيها، أي اسم الأمة الأصل. وهنا يظهر الفرق بين الأمم الحديثة، ومنها الأوروبية، التي لم يكن لها

[٥٥]- القرآن الكريم، سورة الأنبياء الآية ٩٢.

من وجود قومي قبل القرن التاسع عشر، ممّا يفسر حداثة مسميات بلدانها جميعاً، كفرنسا وألمانيا، وبين الأمم القديمة صاحبة الوجود القومي القديم غرباً وشرقاً، والتي أعرقها الأمة العربية.

رأينا أنّ هناك إجماعاً موضوعياً على أنّ بداية الإنسان العاقل وتجمعاته وثقافته كانت في "بلاد العرب" منذ آلاف السنين. ونظراً إلى قدم الوجود العربي ولذيوع صيته الحضاري فقد برزت هويته العربية مبكراً، ممّا يفسر شيوع تسميته بـ "بلاد العرب" الدالة عليه، والتي دعاه بها كل من المؤرخين اليونانيين والرومانيين في أواخر العصور القديمة كما رأينا.

ثالثاً)- المشرق العربي القديم وعولمة الإنسان والحضارة وتشكّل العالم:

إن المضمون الجغرافي المشرقي المذكور لتسمية "بلاد العرب" كان خطوة متقدمة مهمة في مسيرة تطورها التاريخي الذي لم يلبث أن أخذ كامل أبعاده الجغرافية في مشرق الوطن العربي ومغربه، ليتشكّل الوطن العربي، ثمّ في الأرض كلّها ليتشكّل هذا العالم، من خلال حركة الاتصال والتواصل المستمرة، في انتشار وجود سكانها السريان-السوريين-العرب، واتساع دائرة عولمة إنسانهم العاقل وحضارتهم، أي نشرها على المستوى العالمي، لتكون الوحدة الحضارية العربية العالمية.

من الملاحظ أن العنصر المشترك في تمازج العناصر البشرية وفي صعودها العمراني هو العنصر الحضاري العربي، في انطلاقاته كلها من المركز، وفي تفرعاته كلّها التي انطلقت في الاتجاهات والقارات جميعها. مع الاتساع التدريجي لدائرة وجود التجمعات العاقلة العربية المتطورة ومنها السريانية السورية، وقيامها بنشر معطيات التمدين يميناً وشمالاً ويساراً على الأرض، كان تشكّل العالم وتشكّل وحدته الحضارية المجمع عليها. انطلق العرب السريان بلغتهم وحضارتهم من اليمن والخليج العربي وبقية سواحل جزيرة العرب والمتوسط. وقد توجه قسم منهم شرقاً حتى الهند مما يفسر لماذا كان

البابليون يعتبرون أن بلاد العرب هي ممتدة من الحبشة حتى الهند[٥٦]. وهؤلاء هم السريان الشرقيون، ومنهم السومريون، كما رأينا، وكذلك الأكاديون والآشوريون والبابليون وغيرهم.

وتوجه القسم الآخر، وهم السريان الغربيون، غرباً باتجاه المتوسط والأطلسي، ومنهم الشاميون الذين تشاءموا وسكنوا في الشمال بالنسبة إلى الكعبة، والفينيقيون أبناء فينيق بن أجينور حاكم صور[٥٧]، وضمنهم الأوروبيون الأوائل أبناء أخته أوروبا، "الصبية العربية الجميلة" حسب تعبير لوكان في متحف اللغات والثقافات المتوسطية[٥٨]، وبينهم كثير من العائلات الأثينية في اليونان حسب تأكيد هيرودوت[٥٩]، وأيضاً القرطاجيون الذين لقبهم دانتي بالعرب القرطاجيين[٦٠]، فضلاً عن الكيليكيين والمينويين أبناء مينوس بن أوروبا وأصحاب حضارة كريت إلخ... وقد وصل السوريون الفينيقيون، وفق المشهود آثارياً، من اليابان شرقاً إلى أمريكا غرباً[٦١].

---

56)- (Cf. Hugo WINCKLER: Musri, Mcluhha, Berlin, 1898.

وانظر جواد علي:المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩،جزء أول، ص٥٥٧.

٥٧)- من هنا أتت تسمية فينيقيا في سوريا المتوسطية. وهي كما هو ملاحظ تسمية عربية محلية وقبل ظهور اليونان بزمن طويل، من حيث ورودها في عنوان كتاب المؤرخ البيروتي سانخونياتن منذ الألف الثاني ق.م (س. بريستون: "نظرية التكوين الفينيقية"، دار النهار، بيروت، ١٩٧٠).

٥٨)- من رسالة مارسيل ف. لوكان من "متحف اللغات والثقافات المتوسطية" إلى السكرتير العام للجنة الوطنية السورية في وزارة التربية بتاريخ ٢٥/أيار/١٩٩٩، وموضوعها عن أوروبا وسوريا.

59)- (HERODOTUS, bk. 1, 170; bk. V, 58.

٦٠)- انظر الجزء الثالث من الكوميديا الإلهية لدانتي، ترجمة حسن عثمان، مصر، ١٩٦٩، الحاشية ٥٠ (مع التنبيه إلى خطأ تعليق المترجم).

٦١)- أُعْلِن عن وجود الآثار الفينيقية في اليابان في السنوات الأخيرة، أمّا عن وجودها في أمريكا، فقد جرى الحديث عنه منذ أواخر القرن التاسع عشر. انظر:

Winsor, Natural and Gritical History of America, Osteon, 1889, Heinke Sudhoff, Sory Kolobos, Germany, 1990.

وكما اعْتُبِر السريان الغربيون آموريين، أي سكان الغرب، بالنسبة إلى إخوانهم العرب السريان الشرقيين في بلاد بابل، فقد اعْتُبِر سكان الشمال شاميين بالنسبة إلى إخوانهم عرب الجنوب. أمّا ما يخصّ العرب الآراميين فهم بعض من العرب السريان الذين ظهروا في مرحلة متأخرة زهاء الألف الأول ق.م، والذين بقوا في معظمهم وثنيين بعد ظهور المسيحية، مما أدى إلى ارتباطهم بالوثنية مقابل ارتباط السريان قبل ظهور الإسلام بالمسيحية وكنيستها الشرقية والغربية. ويلاحظ كيف أن دائرة السريانية أو السورية هي الأقدم والأوسع من الدائرة الآرامية وليس العكس كما يخطئ بعضهم.

بيّنت البحوث الانتروبولوجية، بناءً على وجود الوحدة الحضارية العالمية، سقوط فرضية "الشمعدان" في وجود مراكز متعددة مختلفة لأصول الإنسان العاقل وثقافاته، لصالح ما دعي بفرضية "سفينة نوح" في وجود مركز واحد لانطلاق الثقافات كلها في القارات كلّها[٦٢]، وان هذا المركز لا يمكن أن يكون، كما رأينا، إلا في المشرق العربي حيث الظروف الجغرافية–المناخية المناسبة، وحيث الوجود التاريخي المستمر الوحيد للإنسان العاقل منذ وجوده الأول حتى يومنا الحاضر، فاعتبر، ومنه سوريا، مهد الحضارة، أي الأصل البشري والحضاري لكلّ أقوام العالم وحضاراته.

تؤكد نتائج البحث المعلوماتي المقارن أن تشكل العالم كان نتيجة لجدلية المؤثرات الحياتية للإنسان والزمان والمكان في ظلّ الصراع الأول العالمي، صراع الحضارة مع الهمجية وسكان الكهوف، وكنتاج لتمازج الأطراف البشرية وتفاعلها في هذا الصراع، والمكونة من ثلاثة عناصر: أحدها حضاري، والآخران متخلفان: العنصر المتخلف الأول أصيل من الداخل ومنه "الأعراب"، والعنصر الثاني هو البدوي الخارجي، أي القادم من الخارج بالنسبة إلى المركز العربي وإلى فروعه الحضارية، والمجهول الأصل، والذي

[٦٢]- راجع بحث هيرش، "أصل الإنسان المعاصر"...، ص٦٤ .

يحدّد براستد امتداد وجود قبائله ومراعيه من "الدانوب الأسفل شرقاً على طول الجانب الشمالي من البحر الأسود، قاطعة جنوب روسيا إلى آسيا حتى سواحل بحر قزوين"[٦٣].

وهنا تبرز الفرضية السامية–الحامية–اليافثية(الآرية–الهندو–أوروبية) الاستشراقية الغربية المفبركة، في توجهها التزويري المغرض للتاريخ لصالح المركزية الحضارية الغربية في ادعائها لامتلاك أبدية الوجود الحضاري[٦٤]، مقابل تغييب العرب، أصحاب الوجود الإنساني العاقل الحقيقي وأصله، وصانع المنجزات الحضارية طوال العصور القديمة والوسطى. وبرز هذا التزوير بشكل خاص فيما يتعلق بمنطقة اليونان وروما وآسيا الصغرى والهند وفارس، لصالح ربطها مع أوروبا بعرق أو شعب مزعوم هو الشعب الهندو– أوروبي– الآري.

يقول براستد عن هذه الفرضية: "إن قبائل الشمال الرحلّ هي نفس الشعب الهندي–الأوروبي الأبيض أصل سكان أوروبا اليوم، شرعت تلك القبائل منذ القديم تهاجر من مراعيها في الشمال إلى كل الجهات. وعلى مرور الزمان تألّف منها صف من الخلق طويل جداً، يمتدّ من تخوم الهند في الشرق قاطعاً أوروبا إلى الأتلانتيكي حيث نراهم اليوم"[٦٥]. ويورد براستد فرضية كون أصلهم من الشرق والشمال الشرقي لبحر قزوين، وكون الآريين هم قسم منهم، وقد انشطروا في عام ١٨٠٠ ق.م شطرين، الأول توجّه إلى الهند، والثاني توجّه إلى الجبال الواقعة شرقي دجلة، ومنهم الماديون والفرس[٦٦]،

---

[٦٣]- براستد، العصور القديمة...، ص١٨٧.

[٦٤]- راجع طيب التيزيني: من التراث إلى الثورة، دار دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩، ص ٥٢٦–٥٨٠.

[٦٥]- براستد، العصور القديمة...، ص١٨٧–١٨٨.

[٦٦]- المرجع نفسه، ص١٩٠–١٩٢.

والذين يتجاهل أصحاب هذه الفرضية وضوح أصولهم السامية العربية في المصادر العربية- الإسلامية جميعها[٦٧].

من العنصر البدوي الخارجي، ومن هذا الشعب الهندي- أوروبي الآري المزعوم يورد براستد أيضاً ما دعاه "ببرابرة الشمال" و"البرابرة الجرمان"[٦٨]، الذين يشكلون أصول شعوب أوروبا وأممها اليوم، والذين عُدَّ احتلالهم لروما وتخريبها في القرن الخامس ميلادي حدث الفصل بين نهاية العصور القديمة وبداية العصور الوسطى في أوروبا. ومن هذا العنصر أيضاً، وحسب إجماع الباحثين، قبائل الهون، وكذلك القبائل التي غزت البلاد السورية- البابلية، والتي أعطيت في التزوير الصهيوني والاستشراقي لجغرافية المنطقة، مسميات توراتية لا تمت إلى حقيقة أقوامها بصلة، فدعيت القبائل البدوية القادمة من الجبال الشرقية بين بحيرة أورميا وزاغروس في الألف الثالث ق.م، "بالجويتين"، ودعيت تلك القادمة من آسيا الوسطى في الألف الثاني ق.م، "بالكاشيين" و"الحوريين" و"الحثيين".

ويؤكد الباحثون الغربيون الموضوعيون جميعهم أن كلّ ما يقال عن هذا الشعب الهندي- أوروبي أو الآري ليس سوى فرضيات لا دليل عليها على أرض الواقع[٦٩]. ويوردون كثيراً من الأسباب لتأكيدهم هذا، و نكتفي بذكر أبرزها:

١- يؤكد الباحثان إيمار وأوبواية أن علم الآثار لا يقدم أية معونة تذكر عن وجود هذا الشعب الهندي- أوروبي والآري قبل القرن الثاني ق.م[٧٠]، لأنه لم يعرف الكتابة

---

[٦٧]- انظر على سبيل المثال المؤلفات المذكورة للمسعودي والطبري وابن خلدون والبغدادي.

[٦٨]- براستد، العصور القديمة...، ص٦٤٧ وما يتبع.

[69])- (Ch. A. Montagu and E. Darling, Is that a Fact? A Falcon Book, Noble and Noble, New-York, U.S.A. Pp. 104-105: Maurice Meuleau: Le Monde Antique, Bordas, Paris 65, P. 80.

[٧٠]- إيمار وأوبواية، الشرق واليونان القديمة...، ص٥٥٠.

وبالتالي فهو لم يترك آثاراً[٧١]. ولا يقدم بعد هذا القرن أي دليل يبرهن على وجود أصوله[٧٢]، ولا يستند أصحاب الفرضية إلاّ إلى مقاربات لغوية هندية– يونانية، رأوا هم أنفسهم أن يطلقوا على أقوامها مصطلح الشعوب الهندو– أوروبية[٧٣]، بهدف استقطابها إلى جانبهم.

٢– إن البداوة الهمجية التي كانت تمارسها الشعوب المدعوة بالهندو– أوروبية الآرية، والتي تحدث عنها الباحثون جميعهم على أنّها دمرت كثيراً من المعطيات الحضارية، ومنها تدمير روما، لهي الدليل على كذب ادعاء تفوقه العرقي[٧٤].

٣– وضوح الأصل العربي لكثير من الأقوام التي زُعم انتسابها إلى هذه الشعوب، كالماديين أو الميديين والفرس، على أنهم عرب من أبناء سام، وكاليونان والأتراك، وغيرهم على أنهم عرب من أبناء "يافث" وذلك في المصادر العربية–الإسلامية سواء التاريخية أو المتعلقة بعلم الأنساب[٧٥]، والتي علينا، منهجياً، الأخذ بها، لقيمتها العلمية المعرفية المجمع عليها أولاً، ولأنها الوثائق الأوضح والأقدم بهذا الشأن ثانياً، ولكن بعد إخضاعها للبحث العقلاني المقارن بشتى الوثائق الأخرى بالطبع.

---

[٧١]- براستد، العصور القديمة...، ص١٩١–١٩٢.

[٧٢]- إجماع على ذلك، انظر براستد واوبواية على سبيل المثال.

[٧٣]- انظر السبب الرابع في النص نفسه.

[٧٤]- راجع براستد، العصور القديمة...، وانظر أيضاً عيد مرعي: التاريخ القديم، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٩٠–١٩٩١، ص٤٢، يذكر كيف تصف النصوص الجوتيين، على سبيل المثال، بالبرابرة والأفاعي والعقارب.

[٧٥]- انظر مؤلفات المسعودي والطبري وابن خلدون والبغدادي وابن الكلبي وغيرهم إن في التاريخ أو في علم الأنساب، وانظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام...، الجزء الأول، ص٤٩٧–٤٩٨.

٤- بينت الدراسات اللغوية الموضوعية الحديثة أن العناصر المشتركة بين السنسكريتية في الهند واليونانية لا يفسرها هذا الانتماء الزائف لعرق هندي-أوروبي آري مزعوم، وإنما الأصل اللغوي العربي السرياني الواحد لكلتا اللغتين. وكذلك الأمر بالنسبة إلى العناصر المشتركة بين لغات العالم القديم جميعها ومنها السومرية[٧٦]. إن هذا الأصل للغة العربية السريانية الأم يسقط النظرية السامية- الحامية-اليافثية (الآرية الهندية-أوروبية) لا من حيث وجود نوح وأولاده سام وحام ويافث، فهو مثبت في كل المصادر، وإنما من حيث قيامها بنفي أصلهم العربي، ونفي بالتالي لغتهم العربية الأم الواحدة، والتي هي لغة آدم الإنسان العاقل، ولغة تجمعاته وحضارته، والمدعوة من قبل كثير من الباحثين "باللغة العروبية الأولى" كما ذكرنا، والتي أصبحت لغة العالم القديم، بعد تشكّله وتشكّل حضارته العربية الواحدة.

رابعاً)- العالم من الوحدة الحضارية العربية العالمية إلى الخصوصيات القومية والنظام العالمي العربي:

كان من ثمرة التمازج التدريجي للعنصر العربي الحضاري، ومنه السوري، خارج مركزه المشرقي، مع العناصر البدوية والهمجية الخارجية بمسمياتها كلها، ومنها ما دعي خطأ كما رأينا بالهندو- أوروبية والآرية، بداية تشكل الخصوصيات القومية ودولها على المستوى العالمي بدءاً من أواخر الألف الثالث ق.م، ومن ضمنها خصوصيات دول الصين والهند وفارس شرقاً، واليونان والرومان ومعظم أوروبا غرباً.

---

[٧٦]- يرى هاليفي Halevy أن المؤلفات السومرية هي نفسها بالكتابة البابلية ولكن بالأسلوب أو بالصيغة السرية، معتمداً على الدراسة الفيلولوجية، انظر:

Leonard W. King: A History of Sumer and Akkad, Greenwood Press, New-York, 1968, P. 4-5.

عبر أحد الباحثين الغربيين عن هذا التطور التشكلي القومي المهم بقوله :"فمنذ أن أخذت فئات من الأقوام البشرية في الاستقرار والتحضر راحت كل فئة تتطور في المحيط الذي ارتضته لها مقراً، وفقاً لعوامل زمنية ومكانية خضعت لها، ولمؤثرات حسية وخلقية عرفت بها ودرجت عليها. والحق يقال: إن التفتت الذي ألم بالحضارة الوحدانية وتشعبها إلى حضارات متعددة ليس إلا النتيجة المنطقية للرقي الذي حققه الإنسان، و لتطوره الصاعد الذي زاد حياته المادية والعقلية تعقيداً وتشابكاً، ووفر له أسباب التباين والتغاير والتفرد"[٧٧].

ومع نهاية الوحدة الحضارية البشرية انتهت بالتدريج الوحدة اللغوية، وحدة اللغة العربية الأم في تعدّد لهجاتها، لصالح تشكل اللغات القومية المختلفة. وهو الحدث الذي عبّرت عنه المؤلفات العربية القديمة بمصطلح "تبلبل الألسنة"[٧٨]. وهذه الوحدة اللغوية الأصل هي التي تفسر الانتشار السريع للغة العربية بعد الإسلام، الذي عدّه رينان (RENAN): "من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره"[٧٩]، لأنه جهل، أو تجاهل هذا الأصل الوجودي اللغوي العربي الواحد للغات العالم كلّها.

وكان من الطبيعي أن تستمر وتتركز في المركز، في المشرق العربي، وفي محيطه اللصيق به أي الوطن العربي بمشرقه ومغربه، الخصوصية القومية العربية الأصلية في توزع لغتها العربية في ثلاث لهجات رئيسية : السريانية الشرقية الأكادية في مركزها بلاد بابل، والسريانية الغربية الآمورية في مركزها سوريا الشامية ومنها الفينيقية، والعربية العرباء في جوف شبه الجزيرة العربية. وكثيراً ما كانت تتعايش اللهجات هذه كلها أو

---

[٧٧]- ايمار واوبوايه، الشرق واليونان القديمة...، ص ٢٨ .

[٧٨]- انظر المسعودي، مروج الذهب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، الجزء الثاني، ص٦٩، والطبري، تاريخ الأمم والملوك...، الجزء الأول، ص ١٤٣، وابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، الجزء الأول، ص ٦٦.

[٧٩]- محمد كرد علي، خطط الشام، الطبعة الثالثة، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣، الجزء الأول، ص ٤٢.

بعض منها في كثير من مناطق هذا المركز الوطن، كما ذكرنا، الذي تعددت فيه خطوطها وكتاباتها أيضاً.

بعد امتلاك العرب القدماء، وخاصة في سوريا والعراق ومصر وشبه الجزيرة العربية، لأكبر قوة اقتصادية نتيجة للتراكمات والتحولات الحضارية المادية والعلمية التي أنجزوها، بدءاً بثورة التدجين ومنها تدجين الحصان، ومروراً بالثورات الأولى في الزراعة والحرفة والصناعة والتجارة والأنشطة المصرفية، فقد كان من الطبيعي بعد وجود العناصر المكونة للوجود الرأسمالي أو البرجوازي العربي، أي الملكية الخاصة وتقسيم العمل والعمل الأجير وفيض الإنتاج وتطور قواه وأدواته، أن تتشكل رأسمالية أو برجوازية متقدمة كما يؤكد موتل وكولينغ وروسي[٨٠]. وكان من الطبيعي بوصفها الأقوى أن تسيطر على السوق الرأسمالية العالمية والاقتصاد الدولي، وذلك من خلال نظام عالمي لتنظيم وإدارة هذه السوق وهذا الاقتصاد، كطرق ومراكز ووكالات ومواد، على صعيد بلدان العالم جميعها.

وصل تأثير هذا النظام، بمركزه السوري الفينيقي وبحلقاته البابلية –المصرية– الحجازية–العمانية– اليمنية– المغربية المتنفذة، إلى اليابان شرقاً وإلى أمريكا غرباً كما رأينا. يؤكد ذلك حديث سترابون عن "سيطرتهم دون مزاحم على بحار العالم"[٨١]، وتأكيد ديورانت أنهم "قد ربطوا الشرق والغرب بشبكة من الروابط التجارية والثقافية، وشرعوا ينتشلون أوروبا من براثن الهمجية"[٨٢]. وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك في امتداد لغة سوريا العربية

80)- (Laffon MOUTLETS: Les Etapes du Capitalisme de Hammourabi à Rockflller, Paris, 1938; A COLLING: Banques et Banquiers de Babilone à Wall-Street, Plon, 1940; ROSSI, , La cité d'isis histoire vraie des Arabes…, pp. 157-209

81)- STRABON, no. XV11.

٨٢- ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأدنى...، ص٣١٣.

بلهجتها السريانية لتصبح "اللغة الدولية العالمية"[٨٣] للعولمة العربية، أي لغة العالم الثقافية والتجارية والدبلوماسية، حتى بين فارس وبيزنطة[٨٤]. ويؤكّد فيليب حتّي أن الحروف الفينيقية قد وصلت إلى الشرق الأقصى شرقاً، وإلى الأمريكتين غرباً "مطوقةً العالم كلّه"[٨٥].

وكان من الطبيعي أن تتمثل العولمة الحضارية للرواد السوريين وبقية العرب في مساعيهم من أجل محاربة الهمجية عند التجمعات المتخلفة للأعراب ولبرابرة الشمال، وذلك بتعليمها أسس الحضارة العربية التي يؤكد المؤرخ الفرنسي روسي أنها "قد بسطت منذ فجر الزمان معرفتها الحياتية"[٨٦]، سياسةً واقتصاداً وثقافةً، وليشكلوا هكذا تلك "المدنيات القديمة التي أعطت الكثير" و"قامت بدور المهذب المربي"، حسب تعبير إيمار واوبوايه[٨٧].

ارتبطت ممارسة هؤلاء الرواد للعولمة كمضمون بالتطور المتصاعد لمعطيات الحضارة السورية–العربية في مضامينها الحياتية السياسية والاقتصادية والثقافية جميعها. وارتبطت شكلاً وأسلوباً بتطور أدواتهم في التنقل والتعليم والمعرفة، متحولة من مسعاها الفردي إلى الآخر الجماعي، ثم إلى مسعاها الحكوماتي الدولي الذي مهد كسابقيه، وخاصة في مضمونه الاقتصادي، لتشكلّ النظام العالمي العربي.

تحولت العولمة السورية–العربية بفعل هذا النظام إلى فعل إعمار مادي وروحي وتأثير حضاري فاعل وشامل للعالم كّله وعلى المستويات كلّها، السياسية الحكوماتية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ونترك لبراستد، أستاذ تاريخ الشرق في جامعة شيكاغو، التعبير عن تأثيرها في الغرب، فبعد أن يوضح أن مضمون الشرق يقصد به

---

٨٣)- نينا بيغوليفسكايا، ثقافة السريان في القرون الوسطى...، ص ١٥٨.

٨٤)- المرجع نفسه.

٨٥)- حتّي، تاريخ سورية...، الجزء الأول، ص١٨٣.

86)-(ROSSI, La Cite d'Isis Histoire Vraie des Arabes…, p. 9(13).

٨٧)- إيمار وأوبوايه: روما وإمبراطوريتها، المجلد الثاني من سلسلة تاريخ الحضارات العام، ترجمة ف. داغروف. أبو ريحان، ط٢، ص١١.

شرقي المتوسط كما ذكرنا، يؤكد: أن "العمران ولد في الشرق"[٨٨]. وبعد أن يتساءل: "ماذا فعل الشرق القديم للجنس البشري في هذه الحقبة الطويلة؟" يجيب: لا مراء في أنه قد "حبا العالم بالصناعات الأولى البالغة لدرجة عالية من الإتقان... ونفح العالم باختراعات جمة مهمة لا يفوقها إلا اختراعات هذا العصر"[٨٩].

ويبيّن براستد كيف أن "الشرق قد نظم أول حكومة كبيرة من أمة واحدة عظيمة، أو من مجموع أمم تألفت منها إمبراطورية"، وكيف أن الغرب الذي كان، حسب تعبيره، "يتسكع في مهامه الجهل والضلال"، قد أخذ من الشرق هذا علوم الحساب والفلك والطب وتقويم السنين الذي يستخدمه حتى اليوم، وفنون العمارة والنحت والتاريخ والرواية والشعر والمسرح (الروايات الشعرية التمثيلية) والكتابة والحروف و"أقدم إيمان بإله واحد يشمل بعنايته الأبوية جميع الناس"، واضعاً بذلك "أساس حياة العالم الدينية"[٩٠].

استمر الوطن العربي، حتى بعد تكون الخصوصيات، بكونه المركز المشع دوماً بأمته العربية العريقة، وبقلبه السوري الفاعل، وبنظامه العالمي الإعماري، وبخصوصيته الحضارية المتقدمة بلغتها العربية في لهجتيها الرئيسيتين المستمرتين حتى اليوم: السريانية والعرباء. وكان من الطبيعي أن تترك الوحدة الحضارية العربية العالمية التي استمرت طويلاً تأثيراتها في الخصوصيات والحضارات الجديدة جميعها شرقاً وغرباً، والتي دفعت الباحثين الغربيين الموضوعيين، أمثال بيير روسي، أستاذ الحضارة اليونانية، إلى ما دعاه بيرار "بتجاوز الأحكام المسبقة"[٩١]، والتأكيد أن كلّ ما لدى هذه الخصوصيات القومية هو من الثقافة العربية ومنها السورية بالطبع. ونورد بعضاً من أقواله حتى لا نتهم بالغلوّ.

---

[٨٨]- براستد، العصور القديمة...، ص٣٨.

[٨٩]- المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

[٩٠]- المرجع نفسه، ص ٢٣٦.

[91]) -(Victor BERARD: Les Pheniciens et l'Odissee, A. Colin, Paris, 1902..

عن "خدعة" النظرية السامية– الحامية–اليافثية (الآرية أو الهندو–أوروبية)، يقول: "لا شيء في ميدان الحقيقة يفرض تميزاً، سليماً أو مريباً، بين (الآريين) والساميين... فبأية غفلة لا تغتفر تقدمت مدرستنا العلمية في ميدان ليس فيه شيء من الثبات والصحة". ويحمّل روسي "التعليم الجامعي" مسؤولية كبيرة في هذه الغفلة، مؤكداً "أنّ الضلالات التي يقودنا إليها السكوت أخطر من تلك التي يقودنا إليها الجهل"[٩٢]. ويقول روسي: "إن تعبيري سامي وآري ليسا شيئاً ولا يدلان على شيء... إننا في جهل مطبق، جهل متفق عليه، وإن الأمر سيكون بسيطاً جداً... لو أننا تكلمنا عن العرب، ذلكم الشعب الحقيقي الذي يمتلك وجوداً اجتماعياً مستمراً، وجوداً ثقافياً ولغوياً يعطي حياةً وتوازناً لهذا البحر المتوسط منذ عدة آلاف من السنين". ويقول: "وإذا كانت اللغة العربية قد لقيت حظاً (ويقصد اتساعاً) لم تعرفه أية لغة أخرى، وإذا كانت لغة اليهود والمسيحية والإسلام، فلأن حضارة مهيبة قد أعطتها سلطة تجاوزت أبعاد هضبة الحجاز. وقد خضع لهذه السلطة اليونانية ثم الرومان ومعهم الاتروسكيون، قبل أن تنضم إليهم ممالك فيزيغوط الغرب وأمراء الهند"[٩٣].

وعن العرب وحضارات الشرق يقول: "إننا عندما نؤكد، من خلال نظرة شاملة، أن الشرق يتعين من خلال ثقافة عربية في مساحة عربية، فإننا لا نخترع شيئاً". ويضيف: "وإذا ما أبعدنا عنا الهوى... وجب علينا عندئذٍ أن نعرف العروبة كثقافة الشرق الوحيدة، وأن نشرع في إبراز أنواع هذه الثقافة بإعادة النظر فيما كانوا قد علمونا إياه تحت عنوان الشرق واليونان"[٩٤].

أما عن العرب وحضارات الغرب فإن روسي يؤكد أنها جميعها، بما فيها اليونانية والهيلينستية والرومانية والبيزنطية، هي انعكاس للحضارة العربية وانتماء لها. يقول: "إن

---

92)– (ROSSI, La Cite d'Isis Histoire Vraie des Arabes…,pp. 13-35(19-42).
93(ROSSI, La Cite d'Isis Histoire Vraie des Arabes…,) -pp. 17-34(24-41).
94) -(Ibid, pp. 29, 32, (36, 40).

الحضارة اليونانية لم تكن أبداً سوى شرفة أو ملحق لبناء العرب في الشرق". وإن "الثقافة العربية هي أم الثقافة الهيلينستية، والموحية بها، والتي صاغت وشكلت عقلها وقوانينها". ويضيف: "ذلك أن الإرث الثقافي والعلمي والديني الجوهري قد زودنا العرب به. ينبغي إذاً أن لا نعكس الأدوار". ويوضح كيف أن المدنية الرومانية "هي نفسها مشربة بالتقاليد العربية"، مبيناً أن "حضور مهندسين معماريين عديدين ومعلمي بناء ومزيني ديكور سوريين إلى روما كان أمراً مؤكداً منذ وقت مبكر"، ومنهم أبولودور الدمشقي الذي بنى أروع أوابد روما وطبعها "بالسمة العربية" حسب تأكيد روسي[٩٥]، ومنها البانتيون وأحد جسور الدانوب الذي ما زال يدعى بالجسر السوري، وكان من أروع مبدعي الهندسة العربية السورية التي كانت مصدر الروائع المعمارية لكثير من أوابد أوروبا[٩٦].

وعن الأباطرة العرب السوريين الذين حكموا روما، ومنهم سيبتيموس سيفيروس وفيليب العربي والإمبراطورات الأربع من حمص، أي جوليا دومنا، وجوليا ميزا، وجوليا سميا، وجوليا مامياء يؤكد روسي أنهم "قد وضعوا الإمبراطورية الرومانية تحت تأثير شمس حمص العربية"[٩٧]. ويتحدث عن الإسهام الذي قدمته سوريا للثقافة الشاملة في العصر البيزنطي والذي حتى فن عمارته كان عربياً، وكيف أن سبعة بابوات عرب منها على الأقل حكموا الكنيسة الأولية فيما بين القرنين الثاني والثامن الميلاديين. بعد ذلك كلّه يتحدث روسي باسم الأوروبيين قائلاً: "نحن أبناء العروبة"[٩٨].

---

[95]) -(Ibid, pp. 33, 18, 58, 180, 195-196, 30 (41, 24,66, 193, 208, 38).

[٩٦])– راجع عفيف بهنسي: الشام والحضارة، ١٩٨٦، ص٧١–٧٣، وعدنان البني: أبولودور الدمشقي أعظم معمار في التاريخ القديم، دمشق، ١٩٩٠.

[97]) - ROSSI, La Cite d'Isis Histoire Vraie des Arabes…, p. (212 (225).

[98]) - Ibid, pp. 229-235, 26, (242-248, 34).

ومن منطلق التأثير السوري في روما كان قول شاعرها جوفينال: "هاهو العاصي السوري يصب في نهر التيبر حاملاً لغته وعاداته"[٩٩]. وجاء في ايمار واوبواية: "انتشر السوريون في كلّ قطر وصقع، وحلوا تحت كلّ سماء"[١٠٠]، من خلال موقعهم المركزي في النظام العالمي العربي.

استمر هذا النظام السوري–العربي العالمي قوياً مهيمناً باستثناء فترة من الضعف مرّ بها في المدة الممتدة بين القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديين، بسبب الصراع الكنسي والصراع الفارسي– البيزنطي على طرق التجارة الدولية، ولكن سرعان ما استعاد سيطرته العالمية في ظلّ الدولة العربية– الإسلامية، في العصور الوسطى، لتستمر رسالة عولمة حضارة التمدين العربية العالمية، وخاصة في أوروبا في عصور الظلام الوسطى بعد أن أنجزتها، بكلّ التميّز، في أوروبا في العصور الحجرية القديمة.

خاتمة البحث:

بعد ما تقدّم جميعه نستطيع أن نفهم لماذا احتفظ مصطلح "الشرق" في الفرنسية والإنكليزية بمعنى "اللؤلؤة المتألقة أو ألق اللآلئ"[١٠١]، إنّه الشرق العربي أصل الإنسان ومبدع الحضارة، ولماذا معنى سوريا في الشرق هو الشمس، لقد كانت شمس الشرق والغرب معاً. والآن هل ما زال مبرراً السؤال الذي يطرحه بعضهم فيما يخصّ العصور القديمة وأصول الإنسان والحضارة، والذي له دلالات محورية، وهو: هل عروبة أصل الإنسان والحضارة حقيقة تاريخية أم إشكالية أم قضية؟

لا شكّ أنّ كلمة الحسم في الإجابة عن هذا السؤال، كما هي الحال بالنسبة إلى أي سؤال تاريخي، هي منطقياً للمصادر والعلوم المعنية، وهذه المصادر والعلوم، كما رأينا، قد أجابت مؤكّدةً أنّ كينونة المشرق العربي القديم كأصل للإنسان والحضارة هي حقيقة

---

[99] -(Encyclopedia Universalis, E. U. France, Paris, 1968.

[١٠٠])– إيمار وأوبوايه، روما وإمبراطوريتها...، ص٣٧٢.

[١٠١])– راجع القواميس المعنية ومنها الكنز والمورد.

تاريخية أكدتها حضارة الموضوعية عند المتخصص الفرنسي بيير روسي فكلّ التقدير لها وله، ولم يعد أحد ينكرها، كما يؤكّد المتخصص سلطان محيسن، "سوى من يصعب عليه أن يكون أصله من المشرق العربي القديم، مدفوعاً باعتبارات عنصرية لا تمت إلى جوهر البحث العلمي النزيه بصلة"[١٠٢]، وأكرر هذا القول في المقدمة والخاتمة لأهميته.

هذا التأكيد اليوم لهذه الحقيقة التاريخية، التي لا تقبل أي تشكيك، هو مما ينفي أية إمكانية لطرحها كإشكالية بمعنى الاختلاف في رفضها أو قبولها علمياً، لأنّ من يشكك فيها لا يستند إلى أي مصدر أو علم وإنما يفعل هذا لأغراض شتى "لا علاقة لها بالبحث العلمي". وإنّ هذا التشكيك، وخاصة بطرفه التآمري الخارجي، قد أدّى، من خلال ما قام به أصحابه من دسّ متعمّد مدروس لمعطيات التزييف والتزوير في كلّ ما يتعلق بهذه الحقيقة، إلى أن تتحوّل إلى قضية أيضاً، قضية وطنية قومية إنسانية حضارية تستدعي القيام باستمرار وإصرار ببيان معطياتها العلمية الموثقة ككشف وتصحيح لهذه المعطيات.

ومشاركتنا والباحثين جميعهم في هذا الملف تأتي في هذا السياق، أي كجزء من هذا الكشف والتصحيح الذي هو الهدف المحوري. ولنتذكر دوماً أنّ معرفة الحقيقة التاريخية هي حق من حقوق الإنسان والشعوب في العالم كلّه، وأنّه من المفيد أن نتأكّد أنّ الأصل واحد، لعلّ حضارة الموضوعية تنتصر فينا فتحركنا في الاتجاه الإنساني الحضاري الصحيح والراقي.

سادساً)- مصادر البحث ومراجعه:

١- المصادر الدينية:

- القرآن الكريم.

[١٠٢]- انظر محيسن: عصور ما قبل التاريخ ...، ص ٦١.

- الحديث الشريف.
- أحاديث البطريرك زكا عيواص عن عروبة السريان ومنها المنشور في جريدة النهار، بيروت، تاريخ ١٢ /٦ /٢٠٠٥).

٢- القواميس:

- قاموسي الكنز فرنسي–عربي، والمورد إنكليزي–عربي.
- القاموس الكلداني– العربي للمطران يعقوب أوجين منّا، مركز بابل، بيروت، ١٩٧٥.

٣- المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

- أبحاث الندوة العالمية عن تاريخ سوريا والشرق الأدنى القديم، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٩٩٦.
- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، الجزء الأول.
- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٣، المجلد الأول.
- إسماعيل فتحية المتخصصة في علم اللغات، بعنوان: اللغة العربية أصل اللغات، القاهرة الجزء الثاني.
- البغدادي السويدي محمد أمين، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار إحياء العلوم، بيروت، بدون تاريخ.
- البني عدنان، أبولودور الدمشقي أعظم معمار في التاريخ القديم، دمشق، ١٩٩٠.

- البوريني عبد الرحمن أحمد، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٨.
- التيزيني طيب، الفكر العربي في بواكيره وآفاقه الأولى، دار دمشق، ١٩٨٢.
- _____ من التراث إلى الثورة، دار دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩.
- الدبس يوسف، تاريخ سورية، المطبعة العمومية، بيروت، ١٩٠٣، الجزء الأول.
- الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، طبعة ١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤.
- الطبري أبو جعفر، تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، الطبعة الرابعة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، الجزء الأول.
- العابد مفيد رائف، "سوريا في عصر السلوقيين"، دار شمأل، دمشق، ١٩٩٣.
- المسعودي: كتاب التنبيه والإشراف، ليدن، ١٨٩٣.
- _____مروج الذهب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.
- النابلسي عبد الغني، هذا الكتاب القول السديد، مخطوط برلين، ورقة رقم ٣٥ ب.
- إيمار أندريه واوبواية جانين، الشرق واليونان القديمة، موسوعة تاريخ الحضارات العالم، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت– باريس، ١٩٨٦.
- روما وإمبراطوريتها، المجلد الثاني من سلسلة تاريخ الحضارات العام، ترجمة ف. داغر وف. أبو ريحان، ط٢.
- بابليون جان، إمبراطوريات سوريات، ترجمة يوسف شلب الشامي، دمشق، ١٩٨٧.

- براستد جايمس هنري، "العصور القديمة"، ترجمة: داوود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٣.
- بريستون س.، "نظرية التكوين الفينيقية"، دار النهار، بيروت، ١٩٧٠.
- بهنسي عفيف ، حكمة العروبة، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٢.
- بيغوليفسكايا نينا: ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف جراد، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩٠.
- تاريخ هيرودوت الشهير، ترجمة حبيب أفندي بسترس، مطبعة القديس جورجيوس، بيروت، ١٨٨٦– ١٨٨٧، المجلد الأول، الكتاب الثاني.
- تريميليوس(TREMELLIUS)، قواعد اللغتين الكلدانية والسورية(السريانية)، في: توفيق سليمان، أسطورة النظرية السامية...
- تواريخ سريانية، نقل وتحقيق يوسف حبّي، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢.
- توفيق سليمان، أسطورة النظرية السامية، دار دمشق، ١٩٨٢.
- حتّي فيليب، تاريخ سورية، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢.
- علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء الأول.
- خشيم علي فهمي، "نحو دراسة علمية للتاريخ العربي القديم"(مجلة الوحدة، الرباط، العدد ٤٢، آذار ١٩٨٨، ص٧٤ –٨٦).

- _____مؤلفاته عن "القبطية العربية،و"الأكادية العربية"، و"اللاتينية العربية"، و"سفر العرب الأمازيغ"

- دانتي، الكوميديا الإلهية، الجزء الثالث، ترجمة حسن عثمان، مصر، ١٩٦٩.

- داوود أحمد، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، طبعة ٦، دار نينورتا، ٢٠١١.

- _____تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير، طبعة ٤، دار نينورتا، دمشق، ٢٠١٢.

- _____تاريخ سوريا الحضاري القديم-١ "المركز"، طبعة رابعة، دار نينورتا، ٢٠١١.

- دروزة محمد عزة ، تاريخ الجنس العربي، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٥٩.

- ده سوسير فردينان، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، لبنان، ١٩٨٤.

- ديورانت ول.، "قصة الحضارة"، الشرق الأدنى، الجزء الثاني من المجلد الأول، ترجمة: محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة.

- زاريتنس جوريس، "هل تحدد أخيراً موقع جنة عدن" (مجلة Smithsonian الأمريكية، عدد أيار ١٩٨٧، ص١٢٧-١٣٤).

- صائب سعد، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، دار طلاس، ١٩٩٤.

- عبد الله فيصل، مقدمة في علم الأكاديات ودور العرب فيه، دار الأبجدية، دمشق،١٩٩٠.

- عبد الحميد محمود، "الهجرات العربية القديمة"، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨.

- عوض لويس، "معنى القومية" (الأهرام، القاهرة، ١١ أيار ١٩٧٨، ص٢) منشورة في (مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد ٤-٥، ١٩٧٨، ص٢٦٣-٢٦٨).
- عيد مرعي، التاريخ القديم، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٩٠-١٩٩١.
- فرح نعيم: النظرية السامية مؤامرة استعمارية وصهيونية على العرب، دار حسان، ١٩٩٣.
- فرزات محمد حرب ومرعي عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٠.
- قبيسي محمد بهجت، ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، طبعة ثانية، دار شمأل للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠.
- كرد علي محمد، خطط الشام، الطبعة الثالثة، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣، الجزء الأول
- كريمر صموئيل، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، دون تاريخ.
- كيللي ف. وكوفالزون م.، المادية التاريخية، ترجمة أحمد داوود، الطبعة الأولى، دار الجماهير، دمشق، ١٩٦٧.
- لوبون غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٩.
- من رسالة مارسيل ف. لوكان من "متحف اللغات والثقافات المتوسطية" إلى السكرتير العام للجنة الوطنية السورية في وزارة التربية بتاريخ ٢٥/أيار/١٩٩٩، وموضوعها حول أوروبا وسوريا.

٤- المصادر والمراجع الأجنبية:

- BAUGH Albert C. and CABLE Thomas: History of the English Language, London, 1980

-COLLING A.: Banques et Banquiers de Babilone à Wall-Street, Plon, 940. –

- HERODOTUS, The History of Herodotus, London, 1920.

- HIRSH P.F.,"L'origine de L'homme Contemporain"(la Recherche, no.277,1995).

- Heinke Sudhoff, Sory Kolobos, Germany, 1990.

- King Leonard W: A History of Sumer and Akkad, Greenwood Press, New-York, 1968.

- Meuleau Maurice: Le Monde Antique, Bordas, Paris, 1965.

- Montagu Ch. A. and Darling E., Is that a Fact? A Falcon Book, Noble and Noble, New-York, .S.A.

- MOUTLETS Laffon: Les Etapes du Capitalisme de Hammourabi à Rockflller, Paris, 1938.

- PLINY: Natural History, Bk. v, ch,. 21... and Bk. IV .

- POSTEL W. : Les Origines des Langues, Paris, 1539.

- ROSSI Pierre : La cité d'isis histoire vraie des Arabes, Paris, 1976.

وهناك ترجمة عربية لفريد جحا لهذا الكتاب بتكليف من وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٠.

- STRABON, no. XV11.

- Victor BERARD: Les Pheniciens et l'Odissee, A. Colin, Paris, 1902.

- WINCKLER Hugo: Musri, Mcluhha, Berlin, 1898.

- Winsor, Natural and Gritical History of America, Osteon, 1889.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *